

إضاءة في المجموعة القصصية (رجال خياراتهم جهنم)

يعبر القاص عبد الله النصر في مجموعته القصصية الأخيرة 2023 (رجال خياراتهم جهنم) إلى الضفاف المسكونة بالصمت والحذر والتوجس، يسن قلمه السردى بشكل حاد ليكشف عن بعض الممارسات المتوارية والمختفية، ولا يكشف عن تلك الحادثة أو الأمر المحذور منه في بداية القصة، بل يجعل القارئ يستمر في قراءة الحدث بطريقة هادئة.

تزخر المجموعة بشخصيات متلونة تعلق في ذهن القارئ لأنها تمارس سلوكا وأفعالا تتضاد مع الطبيعة الإنسانية والأخلاق القويمة، وما يزيد من سوء هذه الممارسات المؤرقة هو الاستناد واللجوء إلى حيل متفرقة، ويكون فيها مسرح القصص مكانا لانطلاق المثل الإنسانية أو أن يُعد مكانا طبيعيا يزخر بالجمال والرمزية العاطفية.

تتباين درجات الكشف عن سلوك الشخصيات في القصص، فتكون درجات الفصح متباينة. والأمكنة التي جرت فيها الأحداث هي أماكن لها قداستها الدينية أو مكانتها الاجتماعية أو الإنسانية وما يتعلق بالطبيعة النقية.

قصة (خريز) تحكي قصة الشيخ الديني وعلاقته مع الناس وطريقة تعامله مع عناصر المجتمع، حيث استخدم لغة الحوار بعدما قام بتهئية الحدث الهام من خلال تصوير شأن ومرتبة الشيخ في المجتمع ووصف طريقة حديثه، فيجيب الحوار كاشفا للحالة النفسية للمتحدث دون تدخل من القاص، ومما زاد من قدرة الكشف هي المفارقة بين جمل وعبارات الشيخ في خطبته وبين حوارهِ مع الشاب الذي حاول تصحيح الخطأ، بالإضافة إلى مكان الحدث الذي يمثل قدسية ومصدر انطلاق التعاليم الإسلامية السمحة، فتحول مكان المسجد إلى آلة للسيطرة والهيمنة لهذا الشيخ رغم وجود بعض الكلمات المضادة المنطلقة من بعض الحاضرين.

وتأتي قصة (خيارات جهنم) التي اقتنص القاص من عنوانها عنوانا للمجموعة لتكشف عن الذهنية والتفكير الداخلي في التعاطي مع الصفات الجسدية وربطها مع السمات الوراثية التي يحملها الإنسان عن طريقة والده. هي قصة مملوءة بالحكايات الصغيرة التي تنطلق من أفكار تشك وتظن في الآخر، وكيف لقدرة الكلمات أن تغذي هذا الاتجاهات، مما يجعل بعض الشخصيات تنزلق نحو المستنقعات والحياة البائسة، وتتحول إلى وحش ضار يسهم في تدمير إنسان آخر، بل يدمر المكان الذي يعيش فيه، ويقضي فيه على الأمن النفسي للناس.

وتأتي قصة "غنائم" والتي يعمق القاص عبد الله النصر دلالتها من خلال العنوان الذي لا يتضح تأويله إلا بعد نهاية القصة، والغنيمة كلمة فيها نوع من التملك للشيء، وفي القصة يتسلل السرد إلى البيوت والظلام والليل الساتر للجرائم والأفعال الرديئة، حيث يقوم الرجل المنتمي للجمعية الخيرية باستغلال

حاجات الأرامل التي افتقدت معيلها، وهنا تكمن الاستغلالية والانتهازية من خلال تجيير هذه المؤسسة الخيرية واستغلال اسمها في علاقات منحرفة، ليتضح معنى العنوان والمعنونة بغنائم المفردة النكرة والتي تشير إلى عدد كثير من الضحايا.

وحين ننتقل إلى قصتي (ولو حرصتم)، وقصة (الأثير) نجد أن القصتين مسرح الأحداث فيهما المزرعة (النخل)، وهذه الأرض المزرعة والمملوءة بالخير والخضرة والعطاء والعاطفة، وتمثل شرف الإنسان وعزه وعالمه الرومانسي الصافي لدى الإنسان غير أنها تكون موقع للافتراس الجنسي وعملية اللواط، ليتحول المكان النقي إلى مكان موبوء تنتهك فيه صورة الطفل سالم على يد (أبي نجم) الذي يعتبره الأب صديقا ويقوم بتقديره وإكرامه ومساعدته، لتكشف نهاية القصة عن شخصية غادرة سافلة تنتهك الأطفال عن طريق دفع قطع البسكويت، وبالتالي تفشل محاولات الأب وصنع التحصينات المادية والمعنوية للمحافظة على ابنه وحمايته من التحرش الجنسي.

أما القصة الأخرى فهي قصة (الأثير) وشخصيتها الرئيسة عيد المستهدف من (النخلاوي) أبي حبيب وصبيته الخمسة. أبو حبيب رجل في عمر الثلاثين وهو الرئيس والممهد والراضي "فاستأذنا أبي حبيب المشرف عليهم، الذي طلب منهما بلامح منشحة وغمز يفهمانه ألا يتأخرا"، وهذه الشخصية الخبيثة التي تحتمي بأفعال الخير ومساعدة الآخرين ما هي إلا غطاء يستتر فيها أبو حبيب ليمارس غواياته وشذوذه مع صبيته في المزرعة، ويقوم باصطياد الأولاد والصغار، فيتحول المكان النقي والصافي المملوء بالنخل والأشجار الخلابة إلى مكان مخيف ينعدم الأمان عند الصبي عيد الذي يدرك الخطر، فيهرب من النخل وينجو بنفسه.

مجموعة رجال خياراتهم جهنم للقاص عبد الله النصر صدرت عام 2023م عن دار النابعة/ مصر. وتتكون من 20 قصة قصيرة.